أهداف العمل لمصر

المراجع الأجنبية

Saintine, Marcel, Reybaud : Histoire scientifique et militaire de L'Epedition Française en Egypte

Blunt : Secret History of The English Occupation

Morgan Shuster : The Strangling of Persia

Hans Kohn : Western Civilisation in the Near East

Eliot Grinnell Mears : Modern Turkey

Henri Massis : Chefs

Emile Ludwig : Genius and Character

Adolf Hitler : Mein Kampf

المراجع العربية

عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر

أحمد عرابى : كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية

جوليت آدام : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل

من الاسراف فى المغالطة أن يدعى حزب من الأحزاب السياسية المصرية التى تتناوب الحكم فى مصر منذ عام ١٩٢٠ أنه أيقظ الشعور الوطنى وحدد للمصريين أهدافا معينة دعاهم إلى الوصول اليها . فإحساس المصريين بحقوقهم . وتمردهم على كل من يعتدى على هذه الحقوق قديم . أقدم من أى حزب سياسى قائم فى مصر الآن . بل أن تاريخ مصر الحديث ناطق بأن الزعامة التى كانت تقود المصريين إلى تلك الأهداف الوطنية كانت قبل ظهور الأحزاب السياسية المصرية الحالية أرشد وأجرأ . وأشد إيماناً برسالتها . فالسيد عمر مكرم الذى دعا الشعب المصرى إلى الاجتماع يوم ١٢ مايو عام ١٨٠٥ فى دار المحكمة الشرعية بالقاهرة ليعرض عليه مظالم خورشيد باشا الوالى التركى استطاع أن يحدد أهداف الشعب وقتئذ تحديداً واضحاً وفق أحدث المبادىء الخاصة بسيادة الشعب . إذ أنه عندما حضر وكلاء الوالى التركى إلى دار المحكمة تقدم الزعماء المصريون بالمطالب الآتية :

١ — ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها العلماء والأعيان

٢ — أن يجلو الجنود العثمانيون عن القاهرة وتنتقل الحامية التركية إلى الجيزة

٣ — ألا يسمح بدخول جندى تركى إلى القاهرة حاملا سلاحه

وهذه المطالب التى تقرر بضع حقوق رئيسية من حقوق الشعب تظهر إلى أى مدى وصل نضج زعماء الشعب المصرى فى أوائل القرن التاسع عشر . وقد قرر المؤرخون أن هذا الانقلاب السياسى الذى تم باسم الشعب و بواسطة الشعب إنما هو أول حادث من نوعه فى تاريخ الأقطار التى كانت تكوّن الدولة العثمانية . فشروط التفاهم التى فرضها العلماء المصريون على خورشيد باشا تشهد على الأقل بأن غريزة أولئك المصريين قد جبلت على الحرية

وعلى إحساس بالضمانات الشعبية التى كانت شعوب الشرق تجهلها حتى ذلك الوقت [١]

والدليل على أن إحساس الشعب المصرى بكرامته ، وحرص زعمائه على سعادته كانا فى ذلك الوقت أعظم بكثير مما أصبحا عليه بعد أن قامت الأحزاب السياسية المصرية الحالية بقيادة الرأى العام المصرى أن هذه الأحزاب قد قبلت فى ٢٦ أغسطس عام ١٩٣٦ عند توقيع معاهدة التحالف والصداقة مع بريطانيا العظمى إبقاء الثكنات البريطانية فى قلب عاصمة مصر أى فى قصر النيل . وقبلت أن يدخل الجنود الانجليز هذه العاصمة حاملين سلاحا فى وقت السلم أو فى وقت الحرب وهما أمران أبى زعماء الشعب المصرى عام ١٨٠٥ أن يسمحا بهما للجنود الأتراك !

وفى اليوم التالى لذلك اليوم التاريخى أى فى يوم ١٣ مايو عام ١٨٠٥ انتقل زعماء الشعب المصرى إلى دار محمد على ونادى السيد عمر مكرم بخلع الوالى التركى خورشيد باشا فلما سألهم محمد على عمن يريدون والياً أجابوا بأنهم اختاروه هو ـ أى محمد على ـ والياً . ولاشك أن المحضر الذى حرره يومئذ الشيخ محمد المهدى قد تضمن أسمى ما فى المبادىء الديمقراطية الصحيحة من مبادىء . وهو مبدأ حق المحكوم فى اختيار حاكمه . إذ ثبت فى ذلك المحضر « أن للشعوب طبقاً لما جرى به العرف قديماً ولما تقضى به أحكام الشريعة الاسلامية الحق فى أن يقيموا الولاة ولهم أن يعزلوهم إذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم »[٢]

---

(١) Saintine, Marcel, Reybaud : Histoire Scientifique et militaire de L'Expedition Francaise en Egypte T9. P. 215

(٢) عبد الرحمن الرافعى « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » الجزء الثانى ص ٣٧٢

وقد جاء فى الترجمة الفرنسية التى وردت فى الكتاب الذى أشرف Saintine =

ولما ظهر التدخل الأجنبي فى شؤون مصر وأحس المصريون بأن سيادتهم قد مست تقدم بعضهم لزعامة الرأى العام وألف محمد سلطان واحمد عرابى ومحمود سامى البارودى وسليمان أباظه وحسن الشريعى حزبا سريا أسموه « الحزب الوطنى » وأصدروا منشوراً فى ٤ نوفمبر عام ١٨٧٩ تضمن برنامج ذلك الحزب . أشار معظمه إلى كارثة الديون التى مكنت الأجانب من الأعتداء على سيادة مصر ولذلك عالجوا تلك الكارثة بالمطالب الآتية :

١ — أن تعاد إلى الحكومة المصرية جميع الأملاك المسماة بالخديوية

٢ — أن يلغى النص القاضى بتخصيص إيراد السكك الحديدية لسداد الدين الممتاز فان لم يرض الدائنون الأنجليز بذلك تعين عليهم قبول ذلك الدخل كما هو من غير أن تؤخذ بقية الفـــائدة المخصصة لهم من الدخل العام

٣ — أن تكون الديون الممتازة والسائرة والمنتظمة ديناً واحداً مضموناً بمال الأمة والبلاد بفائدة مقدارها ٤ فى المائة

٤ — أن تقام إدارة مراقبة وطنية خاصة يمثل الأجانب فيها ثلاثة ترشحهم الدول وتقرهم الحكومة المصرية (١)

وقد تطور هذا البرنامج فيما بعد عندما تبين زعماء الشعب المصرى

= و Marcel و Reybaud على اصداره عن « التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية بمصر » المشار اليه سابقا ما يدل على شدة تمسك المصريين بحكم القانون اذ اضافت تلك الترجمة فى صفحة ٢١٣ من ذلك المرجع car les tyrans sont rebelles à la loi, et la loi seule est souveraine

(١) — احمد عرابى « كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية » ص ١٤٩

أن الأيدى الأجنبية تعمل على أن تحكم مصر حكما استبداديا فاعلن على العالم برنامجه الشامل الذى تضمن :

١ — المحافظة على استقلال مصر ومقاومة من يحاول إخضاعها و يجعلها ولاية عثمانية

٢ — الولاء للخديوى وتأييد سلطته ما دامت أحكامه جارية وفقاً للعدل والقانون والالحاح عليه بتنفيذ ما وعد به من إعطاء الشعب حكما نيابياً و إطلاق الحرية للمصريين والتعاون معهم بأمانة فى تحقيق هذه الأغراض

٣ — إخضاع الأجانب لما يخضع له المصريون من قوانين البلاد ومساواتهم بالمصريين فى اقتضاء الضرائب منهم

٤ — زيادة عدد الجيش للدفاع عن سيادة مصر إلى أن تبدأ الحياة النيابية باعتبار الجيش حارساً للشعب الذى لا سلاح له

٥ — جميع المصريين سواء فى الحقوق مهما اختلفت عقائدهم الدينية

٦ — إصلاح البلاد مادياً وأدبياً ونشر التعليم وتوفير الحرية السياسية لكافة المصريين وهى الحرية التى يعتبرها الحزب حياة للأمة (١)

والنظرة الأولى لهذا البرنامج يتبين منها أنه تضمن الخطوط الرئيسية الخارجية لمطالب الشعب المصرى فى الحياة الحرة الكريمة . وأنه يمتاز برجولة التعهد بمقاومة كل محاولة للاعتداء على سيادة مصر بالقوة . وقد أثبت هذا الحزب فعلا فيما بعد أنه قاوم الجيوش الانجليزية التى غزت مصر عام ١٨٨٢ المقاومة العسكرية التى كانت فى طاقة البلاد وقتئذ . ولم نسمع

---

(١) Blunt: Secret History of the English Occupation P 556

وقد نشر البرنامج بعدد جريدة (التيمس) الذى صدر فى أول يناير عام ١٨٨٢

إذ ذاك زعيما من أولئك الزعماء يسخر فيطلب « تجريدة » لايقاف ذلك الاعتداء كما سمعنا بعد عندما اعتدى على حق مصر فى السودان !

ولما بدأ مصطفى كامل حركته المطالبة بحقوق الشعب المصرى دعا إلى تمجيد المصرية ورفع شأنها فكان أول زعيم فى القرن العشرين فهم نفسية الجماهير فسما بها وقضى على الرجعية التى كانت سائدة والتى كانت تتنصل من الانتساب إلى المصرية بجملته المأثورة « لو لم أكن مصرياً لوددت أن أكون مصرياً »[١] وهذا الاعتزاز بالمصرية أكرم وأشرف من التعصب الأعمى للجنس الآرى الذى عمد إليه ادولف هتلر فى كتابه « كفاحى » بعد ذلك بسبعة عشر عاماً . وكانت عقليته السياسية وهضمه لأساليب الاستعمار من النضوج بحيث قال « باطلا يعتقد البسطاء أن الانجليز مع كونهم ينوون البقاء فى مصر يقبلون منح أهلها حكومة دستورية لأنه لو جاز ذلك لكان وجودهم فى هذه الديار يوم يؤسس فيها مجلس نيابى تام السلطة واسع السلطان نافذ الكلمة لغوا ولأصبحوا فى هذا القطر لاعبين »[٢] وهو أمر غاب عن جميع الأحزاب السياسية التى تناوبت الحكم فى مصر منذ عام ١٩٢٠ لأن التجربة أثبتت أن بقاء الأصبع الأجنبية قد شل من سلطة البرلمان المصرى واعتدى على حقوقه الدستورية فى أكثر من تشريع مصرى هام كما أن هذه التجربة قد أثبتت أن مجلس النواب المصرى منذ إنشائه فى عام ١٩٢٤ لم يستعمل حقه الدستورى فى الاقتراح على عدم الثقة بوزارة و إسقاطها بل الذى حدث على التوالى هو العكس إذ أن كل وزارة مصرية — تؤيدها السياسة الأجنبية — قد

---

(١) خطبته بالاسكندرية فى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٧

(٢) خطبته بالاسكندرية فى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٠٧

استطاعت التخلص من كل مجلس نواب مصرى يناوىء تلك السياسة

ولا شك أن مصطفى كامل — رغم حداثة سنه بالنسبة لزعماء الأحزاب السياسية المصرية الحالية — كان أبعد نظراً منهم جميعاً فهو الذى قال :

«هذه أمم الغرب يترك الفرد من أبنائها بلاده ويطوف الأرض من جانب إلى جانب وهو فى كل مكان ينزل به قوى الجنان شاعر بأنه الممثل لوطنه الدال عليه معتقد أنه رايته التى إذا أهينت أهين وإذا مست بسوء قامت لأجلها بلاده وقعدت وما هذا الاعتقاد وذلك الشعور إلا لأن الأمة وثقت ببعضها وارتبط كل فرد ببقية أفرادها فصارت كتلة واحدة لا يعتدى عليها زمان ولا يجرؤ على المساس بها إنسان

أما الأمة التى ظنت بنفسها السوء وتركت هذا الظن الفاسد ميراثاً لأبنائها وأحفادها فقل عليها السلام وادعها أمة الموت والفناء .

لا يؤلم المصرى المحب لبلاده مثل ما يسمعه ذات اليمين وذات الشمال من سوء مظنة المصريين بأنفسهم وتناقل هذه الأقوال المميتة للخواطر القاتلة لكل حركة وإرادة من الكبير إلى الصغير وشيوعها حتى بين الأطفال الناشئين

ما هذا السم القتال الذى تناولته الأمة عن طيب خاطر ؟ ما هذا البلاء المدمر للبلاد الذى حل بها وتساقط على رؤوس أهلها وهم اليه ناظرون ؟ كيف تنسى هذه الأمة العزيزة أنها هى التى فتحت وقهرت وضربت وانتصرت وبهرت العاملين بقدرتها وشدة بأسها ؟

لا ريب أن أصل هذا البلاء وجرثومة ذلك الداء إهمال أمر التربية الوطنية ومحو آثار التاريخ المهذب للعقول والأرواح من المدارس والمكاتب »[1]

(١) خطبته فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ بمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة عام على تولية محمد على باشا حكم مصر .

وهذا أمر آخر غاب عن الزعماء المصريين الذين تولوا قيادة الرأى العام المصرى بعد ذلك فلم يفطنوا إلى أن تربية الشعب تربية وطنية . وأثارة النخوة والاعتزاز بماضيه والزهو بتاريخه هو الأساس الأول الذى تبنى عليه كل حركة وطنية موفقة . ولم تصدر كتب فى «التربية الوطنية» بمصر إلا بعد خطاب ذلك الزعيم الشاب بأكثر من عشرين عاما . ولم يراع فى وضعها الوازع الوطنى بل سيقت أساليبها فى قالب مدرسى جاف لا يحقق الغرض السامى الذى كان يرمى اليه مصطفى كامل .

هذه نظرة سريعة إلى موقف زعماء مصر قبل عام ١٩١٩ الذين أيقظوا الرأى العام المصرى وحددوا بعض أهدافه . وموقف زعمائها الذين خلقتهم الثورة المصرية التى نشبت عقب حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ . والذين لم يفعلوا إلا أن جاروا الشعور الوطنى العام . و إذا كنا نغتفر لأمثال السيد عمر مكرم عام ١٨٠٥ وأحمد عرابى عام ١٨٧٩ ومصطفى كامل من عام ١٨٩٥ إلى عام ١٩٠٦ أنهم لم يضعوا برامج واضحة صريحة للأحزاب السياسية المصرية التى أسسوها[١] فاننا لا نفهم كيف جرؤ زعماء الأحزاب السياسية التى خلقتها ثورة ١٩١٩ على مواجهة الرأى العام بدون برنامج حتى أن سعد زغلول قد اعتمد على شخصيته الوطنية القوية فى إنشاء « الوفد المصرى » ببرنامج ساذج يتلخص فى شيئين . الإستقلال وحكم الشعب بواسطة الشعب [٢]

ومركز مصر الجغرافى يجعل لها أهمية دولية لا يحس بها زعماء الأحزاب السياسية الحالية فهى بلا شك زعيمة الشرق الأدنى ، وهى زعامة اعترفت

---

(١) لم يعلن مصطفى كامل برنامج الحزب الوطنى إلا فى الخطبة التى ألقاها فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ .

(٢) Hans Kohn :Western Civilisatian in the Near East. P 83

بها جميع شعوب هذا الشرق ، ففى هذا الجزء من العالم نبت السبب الحقيقى لحرب القرم وحروب البلقـــان والحرب العظمى الماضية ، وفى هذا الشرق تعاركت بريطانيا العظمى وروسيا وألمانيا وفرنسا و إيطاليا ولا تزال تتعارك على أهم طرق العالم لـكى تفوز بسيادة العالم . وفى هذا الجزء يبدو جليا كيف يقف نظامان من أنظمة التحكم فى العالم . أحدهما تجـــاه الآخر . أحدهما نظام الاستعمار الأنجلوسكسونى القائم على التوسع التجـــارى والصناعى لصالح الرأسمالية تؤيده دعاية سداها المبادىء المسيحية والديمقراطية ويوحى به الشعور بأريستوقراطية الجنس « النورديكى » الذى يقطن شمال أوروبا والآخر نظام الاتحاد السوفيتى القائم على التوسع الاشتراكى الذى يوحى به مثل أعلى جديد سداه الايمان بمساواة جميع الأجنـــاس والشعوب فى الحقوق مساواة مطلقة وهذا النظام يعلن استعداده لمساعدة جميع الشعوب الراغبة فى التحرر . وأمام هذا الجهد الذى يبذله النظامان تجد شعوب الشرق نفسها فى عراك مع خصمها الخارجى . وهو الاستعمار الذى يرى من مصلحته أن تبقى هذه الشعوب فى حالة ضعف وفى مستوى منخفض من الحياة وهى حالة يعرف الخصم الخارجى كيف يستغلها وقد ورثت شعوب الشرق من الماضى تركة مثقلة بالفقر والجهل ، وقل التعاون بينهـا لتفرق شعوبهـا فى مساحات شاسعة متباعدة . فلم يعد أفرادها يحتملون المقاومة فى سبيل مثل أعلى . ويتسمون بقوة الشخصية . ويضطلعون بالمسئولية ، وهذه النقائص تنبىء بخلق جيل من الزعماء المثقفين الذين يحسون بها ويتعهدون بالقضاء عليها[1] ولـكن الجيل الجديد من الشبان المصريين الذين أحسوا بتلك النقائص قد تبينوا أن مصر . وطنهم الخالد . الذى به يفخرون . وله يعملون

---

(١) المرجع السابق ص ٦ .

وفى سبيله يموتون . لها مقوماتها التاريخية الخاصة . وظروفها الاجتماعية المميزة لها . ووجهات نظرها الخلقيه التى تتسم بها وتنفرد عن غيرها . فالنظامان اللذان يتعاركان على حدود مصر للفوز بالسيطرة عليها لا يصلحان لها إطلاقا إذ أن التوسع الاستعمارى الانجلوسكسونى قد أساء إلى مصر إساءة بالغة كما أساء إلى غيرها من بلاد الشرق الأدنى فقد بلغ من أثرة السياسة الاستعمارية الأوروبية أثرة وحشية فى استغلال هذه البلاد وفى اختيار حكومات عاجزة لا ضمير لها من أبنائها لحكمها أن تسببت فى خراب بعضها وتعريض كافة بلاد الشرق الأدنى للخراب[١] وقد تبين فعلا بعد الحرب العظمى الماضية أن العرب قد نجح فى غزو الشرق مره أخرى كما فعل أثناء الحروب الصليبية[٢] مع فرق أن الغزو الحديث كان لأغراض استعمارية اقتصادية ويكفى أن أذكر هنا أن مصر — وهى دولة مزدحمة بالسكان وغنية — قد احتلت من عام ١٨٨٢ وظلت تعانى ذلك الإحتلال إلى يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ عندما أعلنت الحكومة الإنجليزية تصريحها المعروف باستقلالها .

وفى خلال هذه الأعوام الأربعين لم تتورع الإدارة الأجنبية التى كانت وحدها مسئولة عن وزارة المعارف العمومية . عن ترك الأمية متفشية فقد أثبت إحصاء عام ١٩٢٧ أن نسبة الذين يستطيعون القراءة والكتابة من الذكور ٢٠٪ من مجموع عدد السكان ونسبة اللاتى يستطعنها من الأناث ٤٪

وقد اعترف لورد كرومر فى تقريره عن مصر عام ١٩٠٥ بأن « من يقابل بين صناعة مصر الآن وبين ما كانت عليه منذ عشر سنوات أو

---

(١) Morgan Shuster-The Strangling of Persia

(٢) Hans Kohn — المرجع السابق الاشارة إليه — ص ٦٨ .

خمس عشرة سنة مضت ـ أى قبل الاحتلال البريطانى ـ يجد أن الأمكنة التى كانت مزدحمة بصناع الغزل والحياكة والصباغة والخيم والأحذية والصياغة والعطارة والأدوات النحاسية والسروج والمناخل والأقفال قد قلت أو اندثرت وقام على أطلالها قهوات وحوانيت ملأى بضائع أوروبية .»

وليست هذه المقدمة مجال الأسهاب فى بيان الأضرار التى عادت على مصر من سياسة الاستعمار الأوروبى بل مجاله باب آخر من أبواب هذا الكتاب عند الكلام على الجزء الخاص باعادة مجد مصر الصناعى من برنامج « العمل لمصر » ولكن يكفى أن أذكر أن سياسة التوسع الاستعمارى قد قضت بألا تكون فى مصر زراعة غنية إلا زراعة القطن ولكن المصريين لا يجنون منها ربحاً صناعياً منذ أغلقت مغازلهم لأن رجال الاحتلال رأوا وجوب إغلاقها لكى تربح مغازل لانكشير ومانشيستر وليفربول وبذلك يصدر القطن من مصر إلى المغازل الانجليزية ويعود اليها قماشاً باهظ النفقات [١]

أما النظام الآخر . وهو النظام الذى يروج له اتحاد السوفييت فهو الآخر لا يصلح أساساً لحياتنا الاقتصادية والاجتماعية لأنه أن صلح لروسيا فانه يتعارض مع المقومات الدينية والخلقية للأنظمة الاجتماعية التى قام عليها مجد الشرق فى ماضيه البعيد والقريب . ومن واجب الجيل الجديد من الشبان المصريين الذين يتقدمون لخدمة مصر أن ينبهوا مواطنيهم إلى أنه إذا كان العالم قد أعجب برجولة الروسيين فى الدفاع عن وطنهم ورد عادية الغزاه . وتقديم أكبر مساعدة إلى قضية الديموقراطية التى انضمت مصر

---

(١) جوليت آدم — « انجلترا فى مصر » ص ١٨٤ (ترجمة على فهمى كامل)

إلى أنصارها راضية مقتنعة فإن هذا الإعجاب ليس معناه اعتناق المبادىء الشيوعية . و إذا كان اتحاد السوفييت قد وجه عقب خلع القيصر وتأليف الجمهوريات الاشتراكية نداء إلى شعوب الشرق ذكر فيه « إلى مسلمى الشرق . إلى الايرانيين والأتراك والعرب والهنود . إلى من تاجر لصوص أوروبا الجشعون برؤوسهم وحريتهم وأوطانهم مدى قرون عدة . إلى كل من يريد اللصوص الذين بدأوا الحرب أن يقتسموا بلادهم . نعلن أن المعاهدة السرية التى أبرمها القيصر المخلوع بشأن الاستيلاء عنوة على القسطنطينية قد مزقت وألغيت . ونعلن أن المعاهدة الخاصة بتقسيم إيران قد مزقت وألغيت . ونعلن أن المعاهدة الخاصة بتقسيم تركيا والاستيلاء على أرمينيا قد مزقت وألغيت . لا تضيعوا وقتاً فى نفض اللصوص الذين اغتصبوا أوطانكم عن أكتافكم . لا تمكنوهم بعد من استغلال أرضكم ليسلبوها . يجب أن تكونوا أنتم أنفسكم سادة أوطانكم . إن هذا من حقكم . ومصيركم فى أيديكم »[1] — إذا كان اتحاد السوفييت قد أعلن ذلك عقب الحرب الماضية فقد تبين بعدئذ أنه قد ضم أرمينيا اليه رغم ذلك . وأنه عمل على توسيع نفوذه السياسى والاقتصادى فى إيران وأنه لا تزال له مطامع جغرافية فى مضايق البوسفور والدردنيل تشبه إلى حد كبير المطامع التاريخية التى كان يتمنى قياصرة روسيا تحقيقها قبل زوال دولتهم !

إننا نؤمن بحقيقة واحدة . هى أن أى برنامج لحزب مصرى جديد يجب أن يعتمد على تأييد المصريين وحدهم دون غيرهم . على إيمانهم بنفع هذا البرنامج و بقدرته على تحقيق ما تصبو اليه مصر وتستحقه من عظمة ومجد لأن التجربة قد أثبتت أن اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة

(١) Hans Kohn : Western Civilisation in the Near East P. 207

الخارجية فى السياسة العملية هو مجرد مقامرة [١]

« العمل لمصر » فكرة جديدة : اقتنع بها نفر من الشبان المصريين المؤمنين بحق مصر فى حياة دولية عظيمة مجيدة و بقدرة المصريين على توفير هذه الحياة لوطنهم إذا نفذوا برنامجاً معينا واضح الأهداف محدد الأغراض صريح الأساليب . وهم فى تحقيق هذا البرنامج يعتمدون على اقتناع كل مصرى ومصرية بما اقتنعوا به . وعلى اشتراك كل مصرى مصرية فى تنفيذ ذلك البرنامج أو العمل على تنفيذه وهذا لا يمكن تحقيقه إلا إذا شعر الفرد فى مصر — أثناء العهد الجديد — بكيانه شعوراً حقاً . تحميه القوانين والأوضاع التشريعية الجديدة والظروف الاجتماعية التى ستنشأ حول فكرة « العمل لمصر »!

وهذا الايمان بكيان الفرد يخالف مخالفة تامة ما ذهبت إليه برامج بعض الأحزاب السياسية الأوروبية التى نشأت قبل هذه الحرب الأخيرة . فمنها من رأى أن تضحية الفرد ضرورية لضمان بقاء الجنس وأن أهم شرط لانشاء واستقرار دولة هو شعور معين بالتعاون قائم على توافق فى الخلق والجنس وعلى أهبة الدفاع عن ذلك كله بأى ثمن [٢] أى أن تكوين الدولة لا يقوم على أساس الفرد المتكرر بل على أساس مجموع الجنس . وفى سبيل هذا المجموع يجب أن تضحى حقوق الفرد ! وهذا الاعتقاد بتفاهة الفرد عند تلك الأحزاب هو الذى دعاها إلى تفسير نفسية الجماهير بأنها لا تتأثر إلا بكل ما هو قوى عنيف و بأن هذه الجماهير كالمرأة التى لا تمكنها حواسها الداخلية من التعقل ووزن الأمور وزنا صحيحا . بل أنها تصبو دائما إلى

---

(١) Eliot Grinnell Mears—Modern Turkey

(٢) Adolf Hitler — Mein Kampf ,P. 141

القوة التى تكمل كيانها فهى تفضل الانحناء للرجل القوى على إخضاع رجل ضعيف والحاكم الذى يملى إرادته على الرجل الذى يلتمس منها أن تتبعه . وهى تشعر باطمئنان عقلى إذا وجدت من يعلمها شيئا لايقبل أن تتحول عنه أكثر من اطمئنانها لو تركت لها حرية اختيار ذلك الشىء أو التحول عنه إلى شىء آخر : فليست لدى هذه الجماهير إلا فكرة ضئيلة جدا عن كيفية ذلك الاختيار ولذلك تميل إلى الشعور إذ ذاك بأن معلميها تخلوا عنها . وهى لاتكاد تخجل من أن تتعذب عقلياً كما أنها لاتحس إلا نادرا بأن حرياتها ككائنات آدمية قد اعتدى عليها وهى ترى القوة التى لا ترحم ومظاهر قسوتها الوحشية فتخضع لها [١]

ولكن أنصار «العمل لمصر» لايقرون هذا المذهب بل يرونه رجوعا بالمدنية الانسانية إلى عهد بائد ، وقد أثبتت تجربة الحرب الأخيرة أن المذاهب التى دعت إلى إفناء الفرد خابت خيبة مرة ، ولم تجلب على زعماء تلك المذاهب إلا الويلات . وعلى الشعوب التى انقادت لهم إلا الخراب

إن « العمل لمصر » — كما قلت فى هذه المقدمة — فكرة نعرضها على كل مصرى ، ولكل مصرى أن يناقشها . أو يعدل فيها . أو ينبذها . ولكن إيماننا بعظمة هذه الفكرة ونفعها أشد من تهيبنا أية معارضة ، فعرض هذه الفكرة الجديدة التى تتهم جميع الأحزاب السياسية القائمة بالتقصير فى حق مصر . والتى تدعو الى حشد جهود جبارة من كل فرد وكل هيئة . وكل مجموع لتحقيق البرنامج الضخم الذى وضعناه . والتى تحبذ حرمان بعض طوائف المصريين والأجانب من امتيازات نالوها فى غفلة الزمن لاسعاد المجموع المصرى . وإنشاء « مصر العظمى » — عرض

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧ .

هذه الفكرة سيثير بلا شك غضب الكثيرين ممن لا يستريحون إلى الفكرة الجديدة . لأنها تتعارض مع مصالحهم . أو لأنها تكشف عن نقائصهم . وتوقع هذا الغضب لا يثنينا عن عزمنا فالمصرى الذى يرى أمراضا تفتك بوطنه . وهو يعرف سر الدواء الذى يشفى هذا الوطن العزيز منها يجب عليه أن يتقدم لمكافحة تلك الأمراض و إلا كان خائنا لا يستحق شرف الانتساب إلى هذا الوطن المجيد .

واعتمادنا فى تنفيذ برنامجنا على إقناع المصريين به يفهم منه بداهة أننا لا نفكر فى إقامة أية ديكتاتورية من أى نوع كان بل نفكر الطغيان بكافة مظاهره . نحن لا نفهم أن يوصف الزعيم فى الوقت الحاضر بأنه لم يعد القائد الروحى و إنما مروض الوحوش [1] ولا نفهم أن يقال فى القرن العشرين و بعد آلاف السنين من جهاد عنيف فى سبيل حرية الفرد إنه يجب أن يرسخ فى الذهن أن الأغلبية لا يمكن أن تحل محل الرجل الموهوب و إن هذه الأغلبية لا تمثل الجهل فحسب بل الجبن أيضا و إنه كلما خف عبء المسئولية عن عاتق الزعيم كلما كثر عدد الأفراد الذين يشعرون رغم انحطاط شعورهم العقلى بأنهم مدعوون إلى تسخير نشاطهم لمصلحة الشعب فينتظرون فى صف طويل فى ألم وحزن يعدون الساعات الباقية على احتمال تقدمهم إلى الأمام و يراقبون كل تغيير فى مراكز الحكام التى يصبون اليها و يفرحون لكل فضيحة قد تبعد عن طريقهم واحداً من المتطلعين إلى تلك المراكز ممن يكون قد سبقهم فى الصف إليها [2] ولا نفهم أن تهاجم إرادة الشعب إلى حد أن يقال إن الفكرة التى تقرر أن الانتخاب العام هو الذى يمهد لاكتشاف العباقرة من أبناء الشعب فكرة سخيفة

(١) Henri Massis: Chefs. P 31 : والرأى منسوب إلى المفكر الألمانى Keyserling

(١) Adolf Hitler : P 81

أولا لأن الأيام التى يظهر فيها سياسى عبقرى واحد بين الشعب هى أيام باركها الله وحددها تعالى ولا شأن للشعب بها . وأن مثل هذا السياسى يظهر بمفرده لا بالمئات أو الآلاف . وثانيا لأن الجماهير تشعر بكراهية غريزية لكل رجل عبقرى . وأنه لأسهل أن يرى الجمل يمر من سم الخياط على أن يرى رجل عظيم يكتشف عن طريق الانتخاب العام وأن كل ما حدث فى التاريخ مما يعد فوق مستوى الجمهور العادى كان يرجع الفضل فيه إلى قوة جارفة صادرة من فرد واحد [١] لأن التجربة قد أثبتت فى مصر أن الشعب المصرى هو الذى «اكتشف» سعد زغلول فانتخبه وكيلا للجمعية التشريعية . فى وقت لم يكن يملك فيه أن «ينتخبه» رئيساً والشعب المصرى — بقوته الجارفة — هو الذى جعل سعد زغلول زعيما وطنياً أثناء الثورة عام ١٩١٨ . فحمله على أن يسخر مواهبه لمهاجمة أوضاع يشهد ماضيه بأنه كان يقرها فى وقت لم يكن الشعب قد جرفه فيه إلى اتجاهه الجديد . والتجربة قد أثبتت فى انجلترة أن الشعب — عن طريق الانتخاب — هو الذى «اكتشف» ونستون تشرشل . وهو الذى أعانه على أن يهزم من قال هذا الكلام الذى أشرنا اليه هزيمة غيرت وجه التاريخ . نحن لا نفهم أن يقود الزعيم شعبه كما يقود المدرس أطفال مدرسته . فيتعالى عليهم لكى يستطيع أن يسوسهم [٢] ولا أن يجترىء زعيم على القول بأنه إذا اعتزم أمراً فانه لا يسمح لأية معارضة بأن تثنيه عنه إلا اذا اقتنع عن طريق التجربة والوقائع المادية بفساد رأيه وأن ضميره هو الينبوع الوحيد الذى يغذى تصرفاته لأن عمله كزعيم يكشف له عن أمور كثيرة تغيب عن بصـ

---

(١) Hitler : Mein Kampf p. 87,88

(٢) Henri Massis : Chefs P. 70

المتفرج الذى لايعمل عمل الزعيم ويدلل على هذا الزعم بأن المهندس المعمارى ليس فى حاجة الى مهندسين معماريين آخرين يقفون خلفه لينبهوه الى الأخطاء التى تظهر فى البناء الذى يشيده وأنه أعجب دائما بالجملة التى توضع على المنازل التى لم يتم بناؤها بعد وهى « الدخول محظور على كل شخص أجنبى عن العمل ! [١] » لأن التجربة قد أثبتت أن الذى قال هذا الكلام كان يستطيع أن ينقذ شعبه من النهاية التعسة التى انتهى اليها لو أنه سمح لغيره من السياسيين بأن يقفوا خلفه لينبهوه الى الأخطاء الهائلة التى ارتكبها ولكنه عند ماحظر الدخول على الأجانب عن زعامته وعمل بمفرده فقد تلك الزعامة وجر شعبه الى الهلاك . نحن لانفهم أن يتلاعب طاغية بالألفاظ فيزعم أن احساس الحاكم بواجب الدفاع عن الشعب والارتقاء به رقياً مادياً وأدبياً لايعنى أبداً الظن بأن مجموع الشعب هو مصدر السلطة وأن الحكومة إنما هى صنيعة المجموع وليست نخبة ممتازة يقع عليها واجب قيادة المجموع والتضحية بنفسها فى سبيله . وأن الرغبة فى ضمان الحريات الضرورية للحياة الاجتماعية والكرامة الانسانية نفسها لاتحتم اعتبار الحرية دعامة يجب أن يرتفع فوقها بناء الكيان السياسى للدولة . وأن الحرية قد انتهت بالوقوع فى نطاق التعبير الصوفى الذى يقول « لاحرية ضد الحرية » وأنه لكى ننسجم مع الفكرة الصحيحة عن الفرد وحقائق الحياة يجب أن نقول إن حرية الفرد موجودة دائما إلا إذا تعارضت مع المصلحة العامة [٢] لانفهم هذا اللعب على الألفاظ لأن التجربة قد أثبتت فى نفس الدولة التى قيل فيها هذا الكلام أن قائله عطل الحريات العامة ليستأثر بالسلطة — كغيره — وادعى أن

(١) المرجع السابق ص ٢٢

(٢) المرجع السابق : « سالازار أو ديكتاتورية الذكاء » ص ٩٢ و ٩٣

العناية الالهية قد أرسلته لقيادة شعبه . ولا نفهم أن يجتذب زعيم عطف الشعب بالألفاظ الخلابة التى يبدو من ظاهرها الحدب على ذلك الشعب فيقول « إلى أى حد يعود شقاء الشعب المادى والمعنوى الى طريق كان يجب إنشاؤه ولم ينشأ وطريق أهملت صيانته ولم يصلح ومدرسة كان يجب أن تفتح ولم تفتح![1] » ثم لا يلبث أن يعلن أن الشعوب لا تحكم وفق هواها وإنما وفق مايقضى به مجموع مصالحها وحقيقة آرائها[2] لا نفهم ذلك ولا نقره لأن تبين تلك المصالح وحقيقة الآراء مسألة مطاطة يترك الطاغية لنفسه — دون الشعب — تقديرها . كما لا نفهم أن يصف زعيم رغبة الجماهير فى الاشتغال بالسياسة بأنها حمى . وأن يزعم بأنه لا يوجد وباء يصيب بأبلغ الضرر الحياة الخاصة والحياة العامة . والكيان المادى والكيان المعنوى والضمير والذكاء كمرض السياسة [3] لأن هذا الاتجاه فى التفكير يقصد به تبرير تعطيل الحريات العامة واستيلاء الطغاة على مقاليد الأمور دون معارض أما « العمل لمصر » ففكرة تستوحى كل عناصرها من ارادة الشعب فهى فكرة ديمقراطية صميمة وطبيعة النظام الديمقراطى الحر تبيح لكل مواطن أن يشترك اشتراكا فعليا فى توجيه سياسة وطنه . بل أن بعض الدساتير يجعل ذلك الاشتراك واجبا حتميا بينما الدول التى يستأثر الطغاة بالحكم فيها تعمل دائماً على أن ينصرف المواطنون عن الاهتمام بالمسائل السياسية .

ونحن لا نقول ماقاله بعض الداعين الى المسائل الاقتصادية الجديدة التى تمخضت عنها الحرب العالمية الماضية من نبذ الفردية والمبادىء الحرة التى

---

(١) Oliveira Salazar : Revolution dans la Paix المرجع السابق ص ٨٥

(٢) هذا هو رأى المفكر الفرنسى Fustel de Coulanges

(٣) رأى آخر للمفكر فوستيل ده كولانج اعتنقه اوليفيرا سالازار طاغية البرتغال

نشأت فى القرن الماضي ووصف عواقبها بأنها عواقب سيئة والزعم بأن اعطاء الدولة حقاً فى الحد من نفوذ الطبقات « البورجوازيه » بما فيها أصحاب رؤوس الأموال الذين يستغلون الطبقات العاملة و يعيشون عيشة الطفيليات عالة على العمال ليس الغرض منه انتهاج سياسة عمالية متصاعدة وتبرير ذلك الزعم بأن الشعب الذى تستأثر فيه الدولة وحدها بالثروة لايوحى بالرغبة فى خدمته [١] ولا نقول أيضا أن للدولة الحق فى ترقية وتنسيق ومراقبة وتوجيه جميع النشاط الوطنى ولكن بدون أن تحل محلها أو تنافسها ولا نقول أن وطنية الدولة قاصرة على تنظيم الجمعيات ونقابات العمال . ونقابات أصحاب الأعمال وعلى الاسراع فى اضفاء طابع وطنى على مختلف فروع الزراعة والصناعة والتجارة دون أن تسعى الدولة لكى تصبح مزارعة أو صانعة أو تاجرة [٢] لانقول لاهذا ولا ذاك لأننا نعتقد بأن هذا الكلام تنقصه الصراحة ولذا يتناقض قائله مع نفسه تناقضاً ظاهراً . لأننا نؤمن بأن فى الامكان — بالنسبة لمصر — أن تزيد ميزانية الدولة زيادة هائلة عما عليه الآن . وفى نفس الوقت تقوى نواحى النشاط الصناعى والزراعى والتجارى فتزيد موارد أصحاب رؤوس الأموال . وأن يتمتع العمال — صناعيين وزراعيين — بحياة رغدة كريمة . وأن تتحصن أسرهم ضد العوز والمرض والشيخوخة وأن تمد أمامهم السبل للانتقال إلى مرتبة أصحاب الأعمال دون شن حرب بين الطبقة العاملة وطبقة أصحاب رؤوس الأموال . لأن مصر دولة رأسمالية ومصلحتها وحقيقة ميول شعبها تنسجمان تماما مع النظام الرأسمالى . ولأننا نؤمن بأن ثراء الدولة لايتعارض مع ثراء

(١) خطبة أوليفيرا سالازار فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٣

(٢) Henry Massis — « سالازار أو ديكتاتورية الذكاء » من كتاب Chefs ص ١٣١ .

الأفراد ولا يتحقق دائما على حساب هؤلاء الأفراد بل إنه يمكن أن يتحقق بسبب ثرائهم اذا نفذنا برنامج «الاستعمار الداخلى» لمصر استعماراً زراعياً وصناعياً واسع النطاق بواسطة المصريين . ولأننا نؤمن بأن الظروف الخاصة التى أحاطت بمصر بسبب نظام الامتيازات الأجنبية تجعل من واجب الدولة — حتى فى ظل النظام الرأسمالى — أن تتولى بنفسها «ترقية وتنسيق ومراقبة وتوجيه» نوع واحد من أنواع النشاط الوطنى وهو الذى يؤدى «خدمات عامة» كشركات النقل والنور والماء وأن تترك للأفراد استغلال باقى نواحى النشاط الوطنى ، وهى عديدة ، استغلالا حراً لا يقيده إلا حرص الدولة على نمو ذلك النشاط واضطراده . والدليل على صحة مانقوله أن الدولة التى قال طاغيتها هذا الكلام الذى نرد عليه قد واجهت أزمة خطرة فى الطعام فاضطر مزارعوها أن يذبحوا أبقارهم لنقص الغذاء . واختفت الألبان ومنتجاتها من أسواقها (١)

« العمل لمصر » إذن فكرة ترمى إلى تحقيق خلق مصر العظمى بطريق الاقناع وحده دون غيره . ولا تقر شكلا من أشكال الاجرام أو الشغب أو العسف لنشرها أو كسب أنصار لها . لأنها — كما سبق أن قلت — تكره الطغيان . مهما كان مخففاً ومعتدلا . فقد ذهب البعض إلى وصف نوع من الطغيان بأنه « أشرف وأعقل وأكثر أنواع الطغيان الموجوده فى أوروبا اتزاناً »(٢) ولكن الطغيان لا يمكن أن يكون شريفاً وهو يقوم على سلب حرية الفرد ولا يمكن أن يكون عاقلا وهو ينفرد بالبت فى مصير شعب بأكمله دون مشورة أحد . ودون السماح بمعارضة ولا يمكن أن يكون متزناً وهو يستوحى كيانه من انقلاب مفروض على

(١) جاءت البرقيات من البرتقال خلال شهر يونيو سنة ١٩٤٤ بهذا المعنى

(٢) Jacques Baimville فى وصف طغيان أوليفيرا سالازار

الناس كرها بقوة السلاح . ولذلك فسوف تكون دعايتنا إلى فكرة «العمل لمصر» دعاية سلمية هادئة فنحن ننكر إلى حد الكراهة والمقت أن الظروف — مهما كانت — تحتم استعمال القوه الجسدية للدعاية الى فكرة ما [١] ونرى أن الاشارة الى أن مبادىء الثورة الفرنسية لم تثمر ثمرتها لما تضمنته من فلسفة جديدة فى صدد سيادة الشعب وإنما لأنها وجدت جيشاً من المهيجين يقودهم مشعوزون شعبيون من طراز عظيم [٢] مغالطة مكشوفة وقياس مع الفارق فلم تكن الحياة النيابية موجودة فى فرنسا عندما قامت تلك الثورة . ولم تكن للصحافة الفرنسية حريتها التى تمكنها من اعلان رأيها . أما مصر فلها حياتها النيابية . وللشعب فيها أن يحبذ برنامجاً حزبياً معينا بعد الاقتناع به فيعهد الى أصحابه بشرف خدمته وصحافتها حرة لها أن تروج لرأى دون آخر . وأن تنتقد مادام نقدها فى سبيل المصلحة العامة . كما أن لرئيس الدولة حقا دستوريا ساميا فى أن يوازن بين مختلف الاتجاهات السياسية ويتبين مافيه مصلحة الشعب فيوليه ثقته الكريمة .

ونحن لانكتفى بانكار الالتجاء الى وسائل الشغب والاثارة لنشر برنامجنا بل نؤمن — مع جوته — بأن أضمن وسيلة للقضاء على أية روح ثورية هى اجابة مطالب الشعب المعقولة [٣] كما نؤمن بأن هذا الشعب وان أخطأ فى تفاصيل الحكم على الأمور فانه محق دائما فى الحكم على مجموعها [٤]

---

(١) Adolf Hitler : P. 456

(٢) المرجع السابق ص ٤١٠

(٣) Emile Ludving-Genius and Character من دراسته للمفكر الالمانى شتاين « Stein

(٤) المرجع السابق . من دراسته للمفكر الالمانى Rathenau ص ١٣٠

أما برنامج « العمل لمصر » الذى تتضمن هذه الدراسات شرحه وافياً له مستندا إلى الحقائق التاريخية المسلم بها . ومدعماً بالآراء العلمية الثابتة . وقائما على الاحصاءات الرسمية التى لاشك فيها فهو :

(١) **إصدار الدستور فى نظم التعليم بمصر** يقوم على أساس الحقيقة التاريخية الثابتة التى تقرر أن مصر هى مهد الحضارة . وعلى أن مناعتها قد أفنت فى قوميتها كل الشعوب التى فكرت فى غزوها فظلت مدى التاريخ محتفظة بسيادتها كاملة .

(٢) **تكوين اتحاد** Federatian **يعيد مصر العظمى إلى حدودها التاريخية** وهى تضم السودان ومديرية خط الاستواء المعروفة بأوغندة واريتريه وزيلع وبربرة والاقطار العربية المجاورة لمصر وهو الاتحاد الذى أعلنت مصر تكوينه عام ١٨٣٦ ويحد شمالا بجبال طوروس والبحر الأبيض المتوسط وشرقا بنهر الفرات وحدود نجد الغربية وولاية حضرموت والحبشة ومستعمرة كينيا وجنوبا بخليج عدن وبوغاز باب المندب وبحيرة البرت نيانزا وغربا بطرابلس ومستعمرة الكونجو البلجيكية . ويشمل ومصر وسوريا المعروفة بفلسطين وسوريا ولبنان والحجاز واليمن .

وللاتحاد برلمانه الاتحادى وللاتحاد — لا للاعضاء — جيشه . وله — لا للاعضاء — ممثلوه السياسيون والقنصليون فى الخارج وحكومة الاتحاد فى القاهرة هى التى تبرم المعاهدات الخاصة به وهى التى تمثله فى جميع الاتفاقات الدولية . ولكن لكل عضو فى الاتحاد برلمانه الخاص يسن له التشريعات المحلية الملائمة له . كما أن له حكومته المحلية التى تدير شؤونه فى الحدود التى يرسمها دستور الاتحاد . ومن شأن هذا الاتحاد أن

يجعل البحر الأحمر بحيرة مصرية عربية فيتحقق الشرط التاريخى الأول لسلامة الشرق الأدنى .

(٣) **أفريقيا للأفريقيين** : وهو مبدأ يجب أن تحمل مصر العظمى رسالة الدفاع عنه أمام العالم على ضوء الاتجاه الدولى الجديد الذى نشأ عقب الحرب العالمية الحالية من وجوب تقسيم العالم الى جماعات متجانسة فى اللغة والخلق والجنس . فالحقيقة التاريخية والجغرافية تثبت أن مساحة أفريقيا ١١٫٤٩٨٫٠٠٠ ميل مربع تقطن منها الشعوب السامية والحامية التى تتكلم العربية وتدين غالبيتها بالاسلام أكثر من النصف . بينما الجزء الآخر تقطنه الشعوب الآرية . التى تتكلم لغات أوروبية وتدين غالبيتها بالمسيحية فالتعاون بين مصر — كزعيمة للمجموعة الأولى — واتحاد جنوب افريقيا — كزعيم للمجموعة الثانية — كفيل برفع العار الذى لا يزال يصم هذه القارة بتقسيمها الى مستعمرات تملكها بعض دول أوروبا وهى القارة التى لا تزيد مساحتها عن ربع مساحة أفريقيا .

(٤) **استعمار مصر استعمارا داخليا بواسطة المصريين** :

١ — **فى الزراعة** يجب القضاء على خرافة عدم امكان زراعة أكثر من ثمانية ملايين من الأفدنة وهى الداخلة فى الزمام . منها نحو خمسة ملايين مزروعة فعلا ونحو ثلاثة ملايين من الأفدنة البور تحت الاصلاح إذ أن مساحة مصر تبلغ مائتين وأربعين مليونا من الأفدنة . يمكن أن يصل المزروع منها الى عشرين مليونا من الأفدنة فى خلال عشرة أعوام وذلك بتنفيذ مشروع تخزين مياه النيل فى وادى الريان جنوب مديرية الفيوم وغرب مديرية بنى سويف . و بوصل النيل بالبحر الأحمر بقناة تخترق الصحراء الشرقية وتحمل الماء العذب الى مناطق المناجم المصرية وإنشاء

شبكة من الآلات الرافعة للمياه الجوفية أى المياه التى تجرى تحت سطح الأرض التى فى مناطق يتعذر وصول ماء النيل إليها وزراعة مناطق غابات حول منطقة وادى الريان وصول الترعة المقترح شقها على نطاق واسع ، و بتنمية الثروة الحيوانية و إنشاء مزارع على أحدث الطرق العصرية .

ب — وفى **الصناعة** يجب القضاء على خرافة أن مصر قطر زراعى ولا يمكن أن يكون صناعياً لإفتقاره إلى المعادن والمواد الخام . فآبار البترول براس غارب فى منطقة البحر الأحمر وحدها تكفى حاجة مصر إلى هذا الزيت . ومعادن التونجستين والكروم والقصدير والأمينت والفوسفات والحديد موجوده بكميات وافرة وفى الامكان مضاعفة الكميات المستخرجة من هذه المعادن بعد إيصال مياه النيل إلى منطقة البحر الأحمر . و إنشاء صناعات محلية بجانب منطقة المناجم المصرية بعد تعميرها . وتجب إزالة الاهمال الشائن فى استغلال الشواطىء المصرية التى يبلغ طولها ألفين من الكيلومترات ومع ذلك فهى لاتغل إلا عشرة آلاف طن من الأسماك سنوياً من مجموع أربعين ألف طن من الأسماك تنتجها البحيرات المصرية ومياه النيل مع أن فى الامكان السهل الوصول الى إنتاج خمسة أضعاف هذه الكمية . و إنشاء صناعات أسماك محلية الى جانب المصائد والتدرج بالشعب الى قبول الأسماك ومنتجاتها كأحد الأطعمة الرئيسية شأن كل الأقطار الواقعة على البحار .

ج — وفى **التجارة** يجب العمل على تعديل الميزان التجارى بحيث يصبح فى صالح مصر . فبعد تنفيذ الشطرين ا و ب من البند الثالث من هذا البرنامج تصبح مصر قادرة — الى أكبر حد — على أن تكفى نفسها بنفسها و يتطور ميزانها التجارى الى مصلحتها فبعد أن كانت تستورد

فى عام ١٩٤٠ بما قيمته ٣١٫٣٧٨٫٠٠٠ جنيهاً ولاتصدر إلا بما قيمته ٢٧٫٨١٢٫٠٠٠ جنيهاً تصبح قادرة على أن تصدر بما تزيد قيمته كثيراً عما تستورده .

(٥) زيادة الايراد الأهلى

فى الامكان رفع هذا الايراد من ١٨٥ مليوناً من الجنيهات كما كان مقدراً فى عام ١٩٣٥ الى خمسمائة مليوناً فى مدة عشر سنوات بعد تنفيذ البند الرابع من هذا البرنامج و بذلك يرتفع متوسط ما يخص كل مصرى من اثنى عشر جنيهاً فى العام الى نحو ثلاثين جنيهاً فى العام وهى نسبة تمكنه من أن يعيش حياة كريمة . وللوصول الى تحقيق هذه الحياة الكريمة لكل مصرى يجب اتخاذ ثلاثة اجراءات حاسمة .

ا — وضع حد أعلى لتملك الأراضى الزراعية بحيث لايزيد ما يملكه الفرد الواحد عن خمسمائة فدان . وما تملكه الأسرة الواحدة عن ألف فدان

ب — تحريم تملك الأراضى الزراعية على غير المصريين .

ج — إعطاء الدولة حق نزع ملكية الأراضى الزراعية التى يثبت أن أصحابها قد أهملوا صيانتها أو العناية بها . أو استغلالها بحيث لم تنتج الغلة التى أنتجتها مثيلاتها فى الموقع والجودة فتخلفت بذلك عن المساهمة بواجبها فى الإقتصاد الوطنى .

(٦) توفير ضروريات الحياة الصحية الأولية للقرى الأربعة آلاف التى يتكون منها الريف المصرى بتنفيذ مشروع إدخال الماء الجارى والمجارى العمومية إلى تلك القرى وهو يكفل انقاذ أربعة عشر مليوناً من المصريين من مرض التراكوما واثنى عشر مليونا من مرضى البلهارسيا

وثمانية ملايين من الإنكاستوما كما يكفل وقاية تكاد تامة من حميات التيفوس والملاريا والتيفوئيد . وهذا المشروع تبلغ نفقاته سبعين مليوناً من الجنيهات يمكن الحصول عليها فوراً من بيع أراضى الحكومة التى تقدر قيمتها بنحو مائة مليون جنيه .

(٧) **تنظيم الادارة الحكومية** على أساس إلغاء جميع الإستثناءات التى أوجدتها تقلبات الحكومات الحزبية بعد قيام النظام النيابى فى مصر منذ عام ١٩٢٤ وذلك باصدار تشريع ذى أثر رجعى يقضى بتحديد مرتب حملة الشهادات العليا الذين تخرجوا عام ١٩٢٤ عند صدور التشريع المطلوب وأن يكون تحديد الرقم متفقا مع مستلزمات الحياة . وما تقرره المدة التى قضاها الموظف فى خدمة الحكومة من حق فى مرتب يفى بحاجاته وحاجات أسرته ويحدد التشريع مرتب حملة تلك الشهادات العليا من خريجى عام ١٩٢٥ عند صدوره ثم مرتب حملتها من خريجى عام ١٩٢٦ وهكذا . فاذا قدر التشريع عند صدوره مرتب حملة الشهادات العليا الذين تخرجوا عام ١٩٢٤ بستين جنيها مثلا فان مرتب الذين تخرجوا عام ١٩٢٥ يكون خمسة وخمسين جنيهاً والذين تخرجوا عام ١٩٢٦ يكون خمسين جنيهاً دون فرق بين المتخرجين من كلية الطب أو الحقوق أو الصيدلة أو الهندسة فكلهم سواء ودون فرق بين الطبقات الاجتماعية التى ينتسبون اليها . أو الأديان التى يعتنقونها فاذا وجد بين موظفى الدولة عند صدور التشريع من تلك الطوائف من يزيد مرتبه عما حدده التشريع هبط إلى ذلك الحد . وإذا وجد من يقل مرتبه عما حدده التشريع ارتفع إلى ذلك الحد على أن توضع حدود أخرى لحملة الشهادات المتوسطة وغيرها على ضوء نفس الفكرة التى تنكر التفريق بين الموظفين بسبب انتمائهم إلى أصحاب النفوذ أو تأييدهم لمختلف الأحزاب.

ب — إنصاف هؤلاء الموظفين فى الترقيات والعلاوات والتنقلات بان يعطى كل موظف إلى الدرجة الرابعة الحق فى أن يشكو من أى غبن وقع عليه إلى إحدى دوائر المحكمة الإبتدائية التى يعمل فى دائرتها ؛ ولكل موظف من الدرجة الثالثة إلى الدرجة الأولى الحق فى أن يشكو إلى إحدى دوائر محكمة الاستئناف التى يعمل فى دائرتها . ولكل موظف من درجة مدير عام فصاعداً إلى وكيل وزارة أن يشكو إلى محكمة النقض والإبرام على أن يكون لهذه الجهات القضائية الحق فى رفع الغبن الواقع على الموظف وفى توقيع الجزاء على الموظفين الذين يثبت أنهم يتخذون عن عمد تلك الشكاوى وسيلة لمشاغبة رؤسائهم فيتحقق التوازن بين الرئيس والمرءوس

ج — الهبوط بميزانية الموظفين إلى الحد المعقول الذى يتفق مع إنتاجهم ومع حاجة العمل و إلغاء المرتبات الاضافية والنفقات المظهرية لتمكين الدولة من تنفيذ البرنامج الذى يحقق مشاريع الاصلاح الكبرى

(٨) **الدولة هى التى تقوم بالاشراف على الشركات التى تتولى الخدمات العامة** services publics كالنقل بأنواعه والنور والمياه وليس للشركات ولا للافراد الذين يتولون هذه المرافق الآن أن يعترضوا بحجة الحق المكتسب لأنه لا حق ضد مصلحة الدولة العليا

٩ — **نشر التربية العسكرية** لتكوين جيل يمتاز برجولته . ويعتز بوطنه ويفنى من أجل علمه وملكه وإعادة إنشاء الصناعات اللازمة لتكوين جيش وسلاح طيران وبحرية حربية وتجارية يجب أن تبلغ فى خمس سنوات

١ — نصف مليون جندى فى وقت السلم يصلون فى وقت الحرب إلى مليون

ب — ثلاثة آلاف طائرة حربية من طائرات التمرين والاستكشاف والتعاون مع الجيش والمقاتلات وقاذفات القنابل

ج — بحرية حربية مكونة من لاقطات ألغام ومدمرات خفيفة وطوافات مراقبة مجموع حمولتها خمسون ألف طن

د — بحرية تجارية — يمكن أن تستخدم فى وقت الحرب للأغراض الحربية — يجب أن يصل مجموع حمولتها فى عشر سنوات إلى مائتى ألف طن . للقيام بنقل البضائع والركاب من والى الموانىء المصرية

هـ — أسطول هوائى تجارى — يمكن أن يستخدم فى وقت الحرب للأغراض الحربية — لمسايرة نهضة الطيران التى أعقبت الحرب الحالية والمساهمة مع الشركات والحكومات الأجنبية التى تشرف على النقل الجوى خارج مصر فى استكمال شبكة الخطوط الهوائية العالمية

(١٠) تعديل الدستور الصادر به الأمر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ وقانون الإنتخاب الصادر به المرسوم بقانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٣٥ على الوجه الآتى :

ا — المادة ٣ من الدستور يضاف اليها النص على أن الوظائف العامة مدنية كانت أو عسكرية لا يعهد بها إلا إلى المصرى ابن المصرى

ب — المادة ٥٨ من الدستور التى تقرر أنه « لا يلى الوزارة إلا مصرى » يضاف اليها النص على أنه « لا يكون قد تولى عضوية مجلس إدارة شركة من الشركات خلال الأعوام الخمسة السابقة على اختياره للوزارة » .

ج — المادة ٨٥ من الدستور التى تكتفى بان تشترط فى النائب — زيادة على الشروط المقررة فى قانون الإنتخاب — أن يكون بالغاً من السن

ثلاثين سنة يضاف اليها النص على وجوب إتمام المرشح للدراسة العالية ، ولا يعفى من هذا الشرط إلا إذا حصل على أكثر من ثلاثة أرباع أصوات الناخبين الذين اشتركوا فعلا فى عملية انتخابه بالدائرة التى رشح فيها .

٥ — المادة الأولى من قانون الانتخاب تعدل بحيث لا يعطى حق انتخاب أعضاء البرلمان إلا للمصريين والمصريات الذين أتموا الدراسة الابتدائية أو الالزامية أو ما يماثلها من الدراسات الصناعية أو الذين يدفعون للدولة ضريبة سنوية لا تقل عن ثلاثة جنيهات أو الذين يدفعون إيجاراً شهرياً لا يقل عن ثلاثة جنيهات .

هذه هى الخطوط الرئيسية الخارجية لبرنامج « العمل لمصر العظمى » وفى الأبحاث التالية شرح لكل بند من بنود هذا البرنامج .

وأنى لمؤمن أشد إيمان بأن فى الإمكان تنفيذ الجزء الأكبر خلال الأعوام الخمسة القادمة . وإنجاز باقيه فى الأعوام الخمس التالية . فتحتل مصر مكانتها الدولية التى يؤهلها لها تاريخها الطويل الحافل بمواقف المجد ، والتى تتفق مع زعامتها التاريخية لحضارة العالم . وتصبح لمصر العظمى كلمتها فى أسرة الدول كما أنى مؤمن أشد إيمان بأن مصر لو استردت قوتها — قوتها الإقتصادية والاجتماعية — طبقاً لما جاء فى هذا البرنامج فانها ستؤدى إلى السلم العالمى بعد الحرب الأخيرة خير خدمة ترجى من دولة تدين لها كافة الأقطار التى تتكلم العربية وتدين غالبيتها بالإسلام بالزعامة . . فيجب أن نبدأ بأن نكون أقوياء وعظماء ... و بعد ذلك يسهل أى أمر فى دنيا يسودها السلام ، فسر السلام وسر الانسانية والحرية والإحسان هى القوة فاذا كان الفرد محسناً وخيراً ولكنه مشلول فإن إحسانه لا نفع فيه [1] و إنى أعتمد فى

---

(١) Robert Brasillach — جريدة Je suis partout الباريسية

تحقيق رسالة « العمل لمصر العظمى » على شباب مصر . على جيلها الجديد الذى لم يتلوث بما تلوث به الجيل الماضى ، فلم يرتعد أمام رئيس أجنبى وهو يستدعيه إلى مكتبه . ولم يرق ماء وجهه ولم يش بزميل لكى ينال ترقية أو علاوة ، وأنى فى اعتمادى على الشباب أرى مع بول كلوديل[١] أن الشباب هو سن البطولة لا سن اللذة كما يزعمون واعتمادى على هذا الشباب هو الذى جعلنى أعلن فى هذه المقدمة أننى لن ألجأ إلا إلى الإقناع فى الدعاية لهذا البرنامج . وفى العمل على تنفيذه . فالدعوة مثلا إلى بث الروح العسكرية وزيادة الجيش المصرى و إنشاء البحرية الحربية والطيران ليس معناها التأهب للحرب . . . فالحروب لا تشنها الأحزاب التى تعتمد على تأييد الشباب لأن الآباء هم الذين يدفنون الأبناء فى كل حرب بدلا من أن يدفن الأبناء آباءهم فى أوقات السلم العادية[٢] ولا شك أن أدنأ غدر عرفه التاريخ هو ما اقترفته الأحزاب الفاشية التى أوصلها الشبان إلى كراسى الحكم فى برلين وروما فكان جزاء أولئك الشبان أن أرسلهم زعماء تلك الأحزاب إلى ميادين القتال لتحصدهم نيران المدافع وهم فى زهرة العمر . .

أما بعد فاذا استطعنا أن ننفذ هذا البرنامج الضخم ـ ونحن مؤمنون بأن فى الامكان تنفيذه ـ فاننا نكون قد أدينا لوطننا أعظم خدمة أديت اليه فى تاريخه الحديث منذ أعلن ابراهيم باشا تأليف «اتحاد مصر العظمى» فى عام ١٨٣٢ عقب وصوله إلى جبال طوروس ونحن فى تنفيذ هذا البرنامج نعتقد أن تجارب الحرب العالمية الأخيرة قد صهرت الصداقة بين مصر

---

(١) Henri Massis : Chefs P. 53 والرأى المفكر Paul Claudel

(٢) Hérodote

و بريطانيا ـ وهى الصداقة التى ندعو اليها ونؤيدها ـ وأثبتت بالدليل العملى ان مصر الحديثة الوفية لقضية الديمقراطية تستطيع أن تؤدى لحليفتها أكبر خدمة وأن يكون وفاؤها نقطة التحول فى تلك الحرب الضروس وأن السياسة الانجليزية الخارجية قد تأثرت بعظات تلك الحرب وتحررت من الاعتبارات الرجعية القديمة وأصبحت أكثر استعداداً لترك هذه المنطقة من الشرق الأدنى تستعيد مكانتها التاريخية لتمكينها من المساهمة مساهمة فعاله فى إقرار السلم على قدم المساواة مع غيرها من أعضاء أسرة الدول ..

ونحن فى تنفيذ هذا البرنامج نضع نصب أعيننا كلمة فواتير التى يقول فيها « إن عظماء الرجال يجيئون عندى فى المرتبة الأولى والأبطال العسكريين فى المرتبة الثانية . وأولئك الذين أسميهم عظماء هم الذين يميزون أنفسهم باجراء نافع أو بعمل من أعمال البناء أما الآخرون الذين يغيرون على المدن ويدكونها فليسوا الا مجرد أبطال » .